جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 28 العدد 5. السنة 2024
مجلة المعيار
EL MIEYAR

ثقافة العيش المشترك وتقبل الأخر في فكر عبد الحميد ابن باديس

Culture of living together and accepting the other in the thought of Abdul Hamid Ibn Badis

خضراوي روميسة[1]
roumaissa.khadraoui@univ-emir.dz

أحلام بلعطار[2]
a.belatar@univ-emir.dz

تاريخ الاستلام: 2024/06/25 تاريخ القبول:2024/08/15 تاريخ النشر: 2024/09/15
Received: 25/06/2024 Accepted: 15/08/2024 published: 15/09/2024

ملخص المقال : تقف هذه الدراسة عند أفكار وآراء الإمام عبد الحميد ابن باديس حول العيش المشترك وتقبل الآخر. نسعى من خلالها إلى فهم آلية ابن باديس للتوفيق بين التمسك بثوابت العقيدة الإسلامية ومتطلبات العيش المشترك، وتقديم نموذج عملي للعلاقة الايجابية مع الآخر من منظور إسلامي. واستخلاص الدروس والعبر من تجربته لتعزيز التسامح ونبذ التعصب في مجتمعاتنا المعاصرة. لفهم هذه الآلية أدرجت المحاور التالية: التأصيل النظري للعيش المشترك وتقبل الآخر في فكر ابن باديس. ملامح الدعوة للعيش المشترك وتقبل الآخر. آليات تجاوز الخلاف مع الآخر والتأسيس للعيش المشترك في المجتمع. بعدها تقييم تجربة ابن باديس في العيش المشترك وتقبل الآخر. للوصول إلى نتيجة مفادها أن ابن باديس كان متشبعا بالثقافة الإسلامية داعيا للإخاء والتعايش السلمي مع الحفاظ على الهوية الإسلامية، مؤكدا على ضرورة فهم حكمة الاختلاف والتعاون لتحقيق المصالح الإنسانية والنهضة الحضارية.

كلمات مفتاحية: العيش المشترك، تقبل الآخر، عبد الحميد بن باديس.

Abstract:
This study attempts to understand Ibn Badis' mechanism to reconcile adherence to Islamic doctrine with the requirements of living together, and to present a practical model of positive relationship with the other. To understand this mechanism, I included the following axes: the theoretical rooting of co-living and accepting the other into Ben Badis's thought. Features of advocacy for co-living and acceptance of the other. Mechanisms to overcome disagreement with others. then assessed the experience of Ibn Badis. To reach the conclusion that Ibn Badis was an advocate of brotherhood, peaceful coexistence and cooperation for human interests and cultural renaissance while preserving Islamic identity
Keywords: Living together; accepting the other; Abdul Hamid Ibn Badis**.**

(1) جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة (الجزائر).
(2)جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة (الجزائر).

مقدمة

في عالمنا المعاصر، الذي يتسم بتنوع الثقافات والأديان والأعراق، يصبح العيش المشترك وقبول الآخر ضرورة لا غنى عنها لتحقيق السلام والاستقرار والازدهار في المجتمعات، فالتنوع يمثل ثراء وغنى للبشرية، ولا يمكن أن يتحقق التقدم والرقي إلا بتقبل هذا التنوع والتعايش معه بسلام واحترام متبادل. ومع ذلك، تظهر بين الحين والآخر سلوكيات وتصريحات عنصرية متعصبة دينيا وعرقيا، تهدد قيم التعايش وتزعزع العلاقات الإنسانية، وتتسبب في الفوضى، والمجتمع الإسلامي، شأنه شأن دول العالم، يعاني من هذه السلوكيات والخطابات التي أدت إلى فوضى وتضارب في الأفكار، وتغيير في المفاهيم، وخلق مغالطات حول العيش المشترك والعلاقات الإنسانية. لذا، نحن بحاجة إلى تأصيل معرفي إسلامي لثقافة العيش المشترك وتقبل الآخر، وتصحيح المفاهيم المغلوطة، وتعزيز القيم الإنسانية التي دعا إليها الإسلام.

هنا يتجلى دور رجال الدين وعلماء الإصلاح في وضع مشروع نهضوي إسلامي شامل، يوازن بين الثوابت الدينية ومتطلبات العصر، ويستفيد منه المجتمع الإسلامي. ويبرز الإمام عبد الحميد ابن باديس كأحد الشخصيات الإصلاحية الإسلامية التي استطاعت تقديم تصور متكامل لطبيعة العلاقات الإنسانية مع الآخر المختلف، وفق منهجية تضمن التوازن بين الحفاظ على مقومات الهوية والانفتاح على الآخر.

وتكمن إشكالية هذه الدراسة في محاولة فهم الآلية التي اتبعها ابن باديس للتوفيق بين التمسك بثوابت العقيدة الإسلامية وبين متطلبات العيش المشترك وتقبل الآخر، ومدى نجاحه في تقديم نموذج عملي للعلاقة الإيجابية مع الآخر من منظور إسلامي يحافظ على الهوية، وينفتح على الآخر بشكل بناء يرسخ قيم التسامح وينبذ التعصب.

كما تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على أفكار ابن باديس حول العيش المشترك وتقبل الآخر، واستخلاص الدروس من تجربته لتعزيز التسامح ونبذ التعصب في مجتمعاتنا المعاصرة. وقد اعتمدت الدراسة المنهج الاستقرائي والتحليلي، من خلال تتبع وعرض أفكار ابن باديس في هذه المسألة، وتحليلها بشكل نقدي وبناء.

محاور البحث:

1. التأصيل النظري للعيش المشترك وتقبل الآخر في فكر ابن باديس.
2. ملامح الدعوة إلى العيش المشترك وتقبل الآخر.
3. آليات تجاوز الخلاف مع الآخر والتأسيس للعيش المشترك.
4. تقييم تجربة ابن باديس في العيش المشترك وتقبل الآخر.

التأصيل النظري للعيش المشترك وتقبل الآخر في فكر ابن باديس

1.2 الأساس المفاهيمي للعيش المشترك وتقبل الآخر:

أولا: العيش المشترك

- **التعريف اللغوي:**

يتكون مصطلح "العيش المشترك" من كلمتين:

– **العيش:** مصدر الفعل "عاش"، ويعني الحياة بكل ما تتضمنه من جوانب مادية ومعنوية، وكذلك العلاقات الاجتماعية والتفاعلات الإنسانية. (الصحاري، 1999، صفحة 541؛ عمر، 2008، صفحة 1584؛ منظور، 1414، صفحة 322)

– **المشترك:** اسم فاعل من الفعل "اشترك"، ويعني ما يخص عدة أفراد أو جماعات معا، أي ما هو مشترك بينهم. (صليبا، 1982، صفحة 375)

وبالتالي، يمكن تعريف "العيش المشترك" لغويا بأنه الحياة الجماعية التي يتشارك فيها أفراد أو جماعات مختلفة في الحقوق والواجبات، والمصالح والمسؤوليات، وغيرها من جوانب الحياة.

- **التعريف الاصطلاحي:**

يتجاوز التعريف الاصطلاحي للعيش المشترك المعنى اللغوي، ليشمل أبعادا اجتماعية وسياسية وقيمية، ويمكن تعريفه بأنه: "ممارسة الحياة الجماعية بين أفراد أو جماعات مختلفة في الدين أو العرق أو الثقافة أو الرأي، على أساس الاحترام المتبادل والمساواة في الحقوق والواجبات، والتعاون على تحقيق المصالح المشتركة، والحوار البناء لحل الخلافات، ونبذ العنف والتطرف." (بدوي، 1993، صفحة 262؛ التويجري، 2010، صفحة 19، 20؛ الزحيلي، د ت، صفحة 2915)

ومنه، يعتبر العيش المشترك قيمة إنسانية نبيلة، ضرورية لتحقيق السلام والاستقرار والتنمية في المجتمعات.

ثانيا: تقبل الآخر

- **التعريف اللغوي:**

يتكون مصطلح "تقبل الآخر" من كلمتين:

– **التقبل:** مصدر للفعل "تقبّل"، ويعني الرضا والقبول والارتياح بشيء ما، سواء كان ذلك الشيء فكرة أو شخصا أو موقفا. (جيبب، 1988، صفحة 293)

– **الآخر:** اسم فاعل من الفعل "تَآخَرَ"، ويعني الغير (الزبيدي، د ت، صفحة 33)؛ أي الشخص أو الجماعة المختلفة عن الذات في الدين أو العرق أو الثقافة أو الرأي.

وبالتالي، يمكن تعريف "تقبل الآخر" لغويا بأنه الرضا والقبول بالآخر المختلف، والاعتراف به ككيان مستقل له الحق في الاختلاف والتميز.

- **التعريف الاصطلاحي:**

ورد تعريف مصطلح " تقبل الآخر" في الكثير من المنجزات الفكرية، منها:

تقبل الآخر (التويجري، 2010، صفحة 53) : " هو اعتراف بالآخر المختلف، سواء كان هذا الاختلاف في الدين أو العرق أو الثقافة أو الرأي."

وأيضا (حسنين، 2005، صفحة 96) : "هو احترام الاختلاف، وتقدير قيمة الآخر كإنسان له حقوقه وكرامته، والتعاون معه على تحقيق المصالح المشتركة."

باختصار، يمكن القول إن تقبل الآخر هو مفتاح العيش المشترك السلمي والتعاون البناء بين أفراد المجتمع الواحد، على الرغم من اختلافاتهم.

2.2 ترجمة عبد الحميد ابن باديس :

ولد عبد الحميد ابن باديس عام 1889م في قسنطينة، لعائلة عريقة ذات جذور عميقة في تاريخ المنطقة. اشتهرت بالعلم والثراء والجاه، ولعبت دورا بارزا في الحياة السياسية والاجتماعية في المغرب الإسلامي. (طالبي، 2016، صفحة 72)

نشأ في بيئة علمية محفزة، حفظ القرآن في سن مبكرة. تلقى تعليمه الأولي في جامع سيدي محمد النجار على يد الشيخ أحمد حمدان لونيسي.

في عام 1908، سافر ابن باديس إلى تونس والتحق بجامع الزيتونة، تخرج منه بعد ثلاث سنوات من الدراسة المكثفة، حاصلا على شهادة التطويع، التي تخوله للتدريس والإفتاء. عمل بالتدريس في جامع الزيتونة لمدة عام واحد، كما كانت عادة المتهجرين في ذلك الوقت، حيث يكتسبون خبرة عملية في التدريس قبل العودة إلى بلادهم.

كانت هذه الفترة من حياته حاسمة في تكوين شخصيته العلمية والدينية، اكتسب فيها المعارف والمهارات اللازمة لمشروعه الإصلاحي الذي أطلقه لاحقًا في الجزائر. كما كان للبيئة التي نشأ فيها أثر في تشكيل ثقافته وتوجهاته الفكرية. (طالبي، 2016، صفحة 74، 76)

وقد كانت شخصيته غنية ومعبرة عن أزمة المجتمع الإسلامي، حيث يقارنها عمار طالبي بشخصية جمال الدين الأفغاني في ثرائها وشمولها وجرأتها، وقدرتها على التعبير عن مختلف المشكلات. فقد كرس حياته للجهاد من أجل إيقاظ الضمير ونشر العقيدة الصحيحة، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام وتقديم صورته الحقيقية، سواء من خلال آرائه وأفكاره، أو من خلال سلوكياته وتطبيقه العملي لتعاليمه.

ملامح الدعوة إلى العيش المشترك وتقبل الآخر

1.3 **موقف ابن باديس من الآخر:** رغم أن دعوته اتسمت بالمحافظة والتمسك بالهوية الإسلامية، إلا أن هذا لا يعني أنها كانت منغلقة، متعصبة ترفض الآخر المختلف وتقصيه. في الحقيقة، نجده يعترف بالآخر ككيان مستقل له الحق في الاختلاف والتميز. ويقر بأنّ هذا الاختلاف سنة من سنن الله يقول: "...إنّ اختلاف الأمم وتباينهم في نحلهم هو بمشيئة الله وما كانت مشيئته إلا حكمة وصوابا...وعرفهم . الإسلام . بوجه الحكمة في هذا الاختلاف وهي أن تباين أعمالهم بتباين مشاربهم ومداركهم مما هو ضروري لنمو العمران وتقدم الانسان... ربى الإسلام المسلمين على التسامح وكوّن نظرهم لغيرهم من أهل الملل فهم لا يرون في اختلاف تلك الملل إلا شيئا قد قضاه الله واقتضته حكمته لعمارة هذه الدار..." (بن باديس، نظر المسلمين إلى غير المسلمين، 2016، صفحة 488، 489)

ابن باديس إذا يرى أنّ تقبل الاختلاف والاعتراف بالآخر ضروري لتكامل الحياة وتقدمها، فكل أمة تمتلك قدرات ومشارب مختلفة، مما يساهم في إثراء الحياة وتنوعها، ونمو العمران. هذا التبادل للقدرات والمشارب لن يتم إلا إذا كان هنالك ممارسة لحياة جماعية تقوم على الاحترام المتبادل والمساواة، والتعاون على تحقيق المصالح المشتركة، وهذا هو مفهوم العيش المشترك.

ورغم أنه لم يستخدم مصطلح "العيش المشترك" صراحة، إلا أن دعوته إلى التسامح والتعايش والتعاون بين الأفراد والجماعات المختلفة سواء من أبناء البلد الواحد أو بين شعبين مستقلين مختلفين تعكس بوضوح مفهوم العيش المشترك. وتتجلى هذه الدعوة في مشروعه الفكري من خلال مواقفه وأفكاره.

3. 2 العيش المشترك بين ثقافتين وتحديات الهوية: لم ينكر ابن باديس إمكانية التعايش بين شعبين مختلفين ثقافيا بشرط المساواة واحترام خصوصية كل شعب ومقوماته. وقد ميز بين نوعين من الجنسية:

أولا: الجنسية القومية: وهي مجموع المقومات التي تميز الشعوب والأفراد عن بعضها، ولا بقاء لشعب إلا ببقاء مقوماته كالشأن في الأفراد. وهذه المقومات هي اللغة التي يتحدث بها، والعقيدة التي يدين بها وتقوم عليها حياته، وتاريخه الذي يتمسك به ويعيش عليه وينظر لمستقبله من خلاله، والشعور المشترك بينه وبين من يشاركه في هذه المقومات.

ثانيا: الجنسية السياسية: وهي أن يكون لشعب ما لشعب آخر من الحقوق مثل ما كان عليه مثل ما على الآخر من واجبات اشتركا في القيام بها لظروف ومصالح ربطت بينهما. ومعناه أن يتساوى شعبين في التمتع بالحقوق وتطبيق الواجبات. (بن باديس، الجنسية القومية والجنسية السياسية، 1937، صفحة 1)

بعد أن أوضح ابن باديس الفرق بينهما، أكد على إمكانية اتحاد شعبين مختلفين في الجنسية القومية، إذا ما تحقق الإنصاف في الجنسية السياسية يقول: "ومن الممكن أن يدوم الاتحاد بين شعبين مختلفين في الجنسية القومية إذا تناصفا وتخالصا فيما ارتبطا به من الجنسية السياسية التي قضت بها الظروف واقتضتها المصلحة المشتركة" (المرجع نفسه، صفحة 1) هذا يدل على إيمانه بإمكانية العيش المشترك بين مختلف الأجناس، مع رفضه للعدوان والظلم والاعتداء على الحقوق والحريات. ويستند في ذلك إلى الدين الإسلامي، مستشهدًا بآيات القرآن الكريم، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، والأحداث التاريخية التي تثبت أن ثقافة العيش المشترك والاعتراف بالآخر متأصلة في الإسلام. ويقر بحتمية التنوع البشري واستحالة اجتماع الناس على دين واحد. يقول الله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ...﴾ (المائدة، الآية48)

وتأسيسا على ذلك، يدعو ابن باديس إلى ضرورة التعاون بين الشعوب، انطلاقا من حاجة الناس لبعضهم لتحقيق مصالحهم، وطبيعة الإنسان الاجتماعية. ويضع ضوابط لتنظيم هذا التعايش دون إقصاء لأي فرد، بهدف بناء مجتمع يسوده الأمن والسلام. ويبرز هنا دور المواطنة المنضبطة بالشريعة الإسلامية في تحقيق العيش المشترك السلمي.

ويؤكد على أن هذا التعايش يجب ألا يؤدي إلى التماهي والذوبان في شخصية الآخر والانسلاخ من مقومات الهوية الوطنية. ويعتبر الأمة الجزائرية تمتلك جميع مقومات الهوية وتتميز بتمسكها الشديد عليها، يقول: " فنحن الأمة الجزائرية لنا جميع المقومات والمميزات لجنسيتنا القومية، وقد دلت تجارب الزمان والأحوال على أننا من أشد الناس محافظة على الجنسية القومية...وأنه من المستحيل ادماجنا أو محونا." (بن باديس، الجنسية القومية والجنسية السياسية، 1937، صفحة 1)

3.3 الدعوة إلى الإنسانية: والتي تعدُّ الرابط المشترك الذي يوحد جميع البشر على اختلاف عقائدهم وألوانهم وأجناسهم، وتميزهم عن غيرهم من الكائنات. وترتبط الإنسانية بمجموعة من القيم والمبادئ الأخلاقية التي تساهم في تحقيق الانسجام والعيش المشترك بين الناس (عمر، 2008، صفحة 130)

وقد دعا ابن باديس إلى الأخوة الإنسانية، مؤكدا على احترام جميع الأجناس، **يقول**: "كن أخا إنسانيا لكل جنس من أجناس البشر وخصوصا ابن جلدتك المتجنس بجنسية أخرى، فهو أخوك في الدم الأصلي على كل حال." (بن باديس، أيها المسلم الجزائري، 2016، صفحة 179)

وفي مقاله "لمن أعيش؟ "، يؤكد أنه ليس خادما للجزائر فقط، بل خادما للإنسانية جمعاء، يحترم جميع مظاهر التفكير والنزعات. ويطمح في مشروعه إلى تربية الجزائريين على هذه النزعة الإنسانية الشاملة، التي تتجاوز الحدود الجغرافية والعرقية. ويقول:" أنا كمسلم أدين بالأخوة الإنسانية واحترمها في جميع أجناسها وأديانها، وأسعى للتقريب بين جميع عناصرها، وأجاهد فيما هو السبيل الوحيد لتحصيل ذلك". ويقول :"وإننا نحب الإنسانية ونعتبرها كلا ونحب وطننا ونعتبره منها جزءا ونحب من يحب الإنسانية ويخدمها ونبغض من يبغضها ويظلمها." (بن باديس، مبادؤنا وغايتنا وشعارنا، 2016، صفحة 278)

وهو يدعوا إلى ما دعا إليه الإسلام دين البشرية يدعو إلى الأخوة الإسلامية بين جميع المسلمين والأخوة الإنسانية بين جميع البشر ويساوي بينهم في الكرامة والحقوق (بن باديس، دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصولها، 1937، صفحة 1) فهو سبيل نجاة وسعادة البشرية، وخدمتها لا تكون إلا من خلاله، فكرّس حياته لخدمة الإسلام ونشر هدايته، ولخدمة كل ما يتعلق به، فكان يعيش ويعمل من أجله، ويعيش للإنسانية جمعاء، سعيا لتحقيق خيرها وسعادتها في جميع الأجناس والأوطان، يقول: "فلأننا مسلمون نعمل على المحافظة على تقاليد ديننا التي تدعو إلى كل كمال إنساني، ونحرص على الأخوة والسلام بين الشعوب البشر وفي المحافظة على هذه التقاليد المحافظة على أهم مقومات قوميتنا وأعظم أسباب سعادتنا وهنائنا." (بن باديس، مبادؤنا وغايتنا وشعارنا، 2016، صفحة 277)

وقد أدرك ابن باديس بأن تحقيق التعايش بين الشعوب المختلفة لا يتحقق إلا من خلال تفعيل منظومة القيم الإنسانية المستمدة من الشريعة الإسلامية، لذلك سعى في مشروعه إلى تربية الشعب الجزائري على هذه القيم الدينية السامية. التي تجعل الفرد المسلم إنسانا حضاريا، وتؤدي إلى تحقيق العيش المشترك السلمي. ومن أبرزها (بن باديس، الفكرة الإسلامية، 1925، صفحة 17؛ بن باديس، دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصولها، 1937، صفحة 1) :

- دعا إلى المساواة بين جميع الأجناس في الحقوق والواجبات، مؤكدا على أن أصل البشر واحد، فهم متساوون في الحقوق والكرامة الإنسانية. واعتبر الاختلافات أمرا طبيعيا يهدف إلى التمييز بين الناس، وليس للتفضيل بينهم.

وشدد على أن التكريم الذي خص الله به الإنسان يشمل جميع البشر، فهو تكريم للطبيعة الإنسانية المشتركة، لتمكينهم من استخدام عقولهم وقدراتهم لتحقيق المنافع. وبالتالي، لا يجوز لأي شخص أو جماعة أن تدعي التفوق على الآخرين بسبب اختلاف اللون أو العرق أو الدين، فجميعهم متساوون في الأصل والمنزلة الإنسانية. (بن باديس، مجالس التذكير، 2009، صفحة 316) وقد استند في دعوته إلى المساواة إلى القرآن والسنة، اللذين يؤكدان على كرامة الإنسان بغض النظر عن أي انتماءات. كما استند إلى التاريخ الإسلامي، الذي شهد العديد من الأمثلة على التعايش السلمي والتعاون المثمر بين المسلمين وغيرهم.

- التعاطف والتراحم بين جميع الأجناس بما يجمعها من وحدة الأصل، فالمسلم حبيب الإنسانية مأمور بالعطف على أبنائها من أي ملة كانوا وإلى أي وطن انتسبوا.
- دعا إلى التعاون على تحقيق المصالح المشتركة، بأن الإحسان إلى واحد إحسان إلى الجميع والإساءة إلى واحد إساءة إلى الجميع إمتثالا لقوله تعالى: ﴿ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴿٣٢﴾ (المائدة، الآية 32) وأنَّ كل قوم تربط بينهم المصالح لابد لهم من التعاون.
- العدل بين جميع الناس بلا أدنى تمييز، فالإسلام يحرم الظلم على أي أحد من الناس، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ...﴿٨﴾ ﴾ (المائدة، الآية 8)
- يحرم الاعتداء على البعيد والقريب يقول تعالى:﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ...﴿٢﴾ ﴾ (المائدة، الآية2)لا يمنع الإسلام المسلم من البر والإحسان تجاه غير المسلمين الذين لم يقاتلوه. وهذا ما اتبعه المسلمون في تعاملهم مع الأوروبيين، سواء كانوا غالبين أو مغلوبين. إذن، الأصل في الإسلام التعايش السلمي والمحافظة على القيم الإنسانية ما لم يعلن الطرف الآخر الحرب. أما الذين يعتدون على المسلمين، فلهم حكم آخر، حيث يصبح الجهاد في هذه الحالة استثناء وقائيا للدفاع عن النفس ودفع الأ

وأكد ابن باديس صحة دعوته من خلال سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي يعتبره رسوًا للإنسانية حيث قام بتكوين الأمة الإسلامية لخدمة جميع الأمم وتحقيق مصالحهم، وليس لسلب كرامة أحد. واستشهد بقول الفيلسوف غوستاف لوبون الذي أشاد برحمة العرب في فتوحاتهم، مؤكدا أنها كانت فتوحات هداية وليست استعمارا، وأنهم كانوا دعاة سعادة وليسوا طغاة استعباد. (بن باديس، محمد صلى الله عليه وسلم رجل القومية العربية، 2016، صفحة 21)

4.3 نبذ العنف والتعصب ونشر قيم التسامح والحوار: يعتبر احترام الاختلافات الدينية والثقافية من أهم مبادئ العيش المشترك، ورفض التعصب لأي دين أو عرق، الذي يؤدي إلى رفض الآخر والتعدي عليه. وقد يتضمن التعصب محاولة فرض معتقدات دين معين على الآخرين، كما حدث في الجزائر من خلال سياسة التبشير الفرنسية.

يحذر ابن باديس من التعصب العرقي ويعتبره علامة من علامات الهمجية والانحطاط، يقول: " احذر من التوحش فإن المتوحش في عصر المدنية محكوم عليه طبيعيا بالتناقض والاضمحلال والاندثار. احذر من التعصب الجنسي الممقوت فإنه أكبر علامة من علامات الهمجية والانحطاط.." (بن باديس، أيها المسلم الجزائري، 2016، صفحة 179)

كما آمن بالتعددية الدينية وأقر بحرية الاعتقاد وتقبل الآخر واحترام عقيدته، يقول :" نحن كمسلمين لا يضيق صدرنا بأن نرى أهل كل دين يحتفلون بطقوس دينهم، ويظهرون تمسكهم بعقيدتهم، بل نود أن يقع التفاهم على نشر أصول الخير والإحسان التي تتفق عليها جميع الملل، وعلى مقاومة الشر والظلم والإلحاد المحرمة عن الجميع." (بن باديس، حول المؤتمر الافخاريستي هل كان مظاهرة دينية خالصة، 1939، صفحة 1) فقد أعرب عن ترحيبه بتمسك كل دين بمعتقداته، داعيا إلى التفاهم حول نشر الخير، ومحاربة الظلم والإلحاد، وهذا من قيم الإسلام السمحة التي تحث على التعايش ونبذ التعصب، فالإسلام يقرر شرائع الأمم ويهون عليها شأن الاختلاف ويدعوها إلى التسابق في الخيرات.

وقد كتب أشيل روبير مقالا اتهم فيه المسلمين بالتعصب والحقد الهمجي ضد الأمم الغربية، واعتبرهم بدوا لا علاقة لهم بالتمدن، وأنَّ أئمة المسلمين قاموا بتحريضهم على التعصب ضد أتباع الديانات الأخرى . المقال منشور في جريدة الشهاب العدد 5 الصحيفة 7 بعنوان "الفكرة الإسلامية". . فرد عليه ابن باديس ردا مطولا . جريدة الشهاب من العدد 6 إلى العدد 12. أوضح من خلاله أن المسلمين كغيرهم من الأجناس يحبون من أحسن إليهم ويبغضون من أساء إليهم، وهذه فطرة في كل إنسان. والإسلام قد قرر محبة الإسلام في قلوب المسلمين وكره لهم ما سواه ولكنه بين لهم أنه كره يحملهم على مجانبة عقائد غير الإسلام وأعماله، دون أن يحملوا حقدا لمخالفيهم أو يمسوهم بأذى أو تحقير لمعتقداتهم. (بن باديس، نظر المسلمين إلى غير المسلمين، 2016، صفحة 488) واستشهد بنماذج من التاريخ الإسلامي حيث عاش أصحاب الديانات المختلفة في كنف الدولة الإسلامية دون إكراه على اعتناق الإسلام، أو انتزاع لأراضيهم، أو منع من ممارسة شعائرهم أو التحدث بلغتهم، أو سلب لأموالهم أو أماكن عبادتهم.

ولم يكن ابن باديس معاديا للمسيحية أو اليهودية ، بل تعامل معهم بقيم إسلامية راقية، لكنه كان معاديا للاستعمار والظلم والتعدي على الحقوق والحريات.

5.3 الدعوة إلى تعلم اللغات ودورها في التصالح مع الآخر: تعتبر اللغة الوسيلة الأساسية للتواصل مع الآخر، مما يسهل فهمه ويقلل من الصراعات الناجمة عن سوء الفهم، وبالتالي تلعب اللغة دورا أساسيا في تعميق العيش المشترك بين المجتمعات.

وقد قام بن باديس بدعم اللغة العربية وتعليمها ونشرها، كونها جزءا من مبادئ الهوية الوطنية، ولكنه لم يمانع تعلم اللغات الأجنبية، معتبرا جميع اللغات البشرية محترمة ومقدسة كآية من آيات الله، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الروم الآية22) انطلاقا من هذا المبدأ، لم يسجل التاريخ أي مملكة إسلامية قاومت لغة من اللغات أو عارضت أحدًا في طريق التعليم والتعلم. بل عاش علماء الأمم ورهبانهم وأحبارهم يعلمون أممهم ما يشاءون من لغاتهم وعلومهم تحت ظل الممالك الإسلامية. (بن باديس، نريد المعاونة لا نريد المعارضة، 1938، صفحة 1)

ويعتبر ابن باديس أن تعلم اللغات من السنة، فقد كتب مقال "من السنة تعلم اللغات المحتاج إليها"، واستشهد بحديث زيد بن ثابت حين أمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتعلم كلمات من كتاب اليهود (الترميذي، 1996، صفحة 493، رقم الحديث2715)، فمن الفوائد التي استقاها ابن باديس من الحديث أنَّ تعلم اللغات ضروري وهي مفتاح التفاهم والتآلف، ليس من أجل المصلحة الشخصية وإنما من أجل تحقيق التعاون والتفاهم بين الشعوب التي تربطهم المصالح المشتركة، سواء كانت المصلحة عمرانية أو علمية، ونحن اليوم تربط بيننا وبين أمم أخرى مصالح لذلك يجب أن نعرف لغتهم وخطهم كما عليهم هم أن يعرفوا لغتنا وخطنا. (بن باديس، من السنة تعلم اللغات المحتاج إليها، 2016، صفحة 232)

يتضح كذلك من الحديث حين ترك النبي صلى الله عليه وسلم اليهود يكتبون ويكاتبون بخطهم دلالة على تسامح الإسلام واحترامه الأمم في دينهم وقوميتهم.

يؤكد هذا على أهمية تعلم اللغات الأجنبية إلى جانب اللغة العربية، خاصة في ظل التطور التقني والتواصل بين الشعوب، ولاشك أن تعلم اللغات يساعد على فهم الآخر، وإيصال صوت الإسلام وقضايا المسلمين. مثال على ذلك هو نجاح العرب الناطقين باللغات الأجنبية في إيصال صوت القضية الفلسطينية للعالم وكشف حقائق الصراع، يدعم هذه الفكرة أن دعوة بن باديس لتعلم

اللغات الأجنبية كانت تهدف إلى إيصال صوت الجزائريين وقضاياهم للعالم، وتبليغ رسالة الإسلام، وتحقيق التعاون والتفاهم بين الشعوب المختلفة.

6.3 الانفتاح على الحضارة الغربية: لم يقتصر انفتاح ابن باديس على الحضارة العربية والثقافة الإسلامية فحسب، بل امتد ليشمل الثقافة الغربية أيضًا. فكان على اتصال وثيق بالأدب والفكر الغربي، وخاصة الفرنسي، من خلال الكتب والمجلات والصحافة. وصلته أكثر من 37 مجلة من مختلف قارات العالم، مما يؤكد تواصل فكره وثقافته مع شعوب هذه القارات... (فيلالي، د ت، صفحة 57، 69)

ودعا أبناء بلده إلى الأخذ بالمدنية والتقدم من الحضارة الغربية، ولكن بشروطهم، وليس بشروط الاستعمار، وذلك من خلال المحافظة على حياتهم وأوطانهم والتمسك بالقيم والمبادئ الإسلامية أولا، و التكيف مع روح العصر في الفكر والعمل والسلوك ومواكبة الحضارة ثانيا، يقول:"كن ابن وقتك تسير مع العصر الذي أنت فيه بما يناسبه من أسباب الحياة وطرق المعاشرة والتعامل".. (بن باديس، أيها المسلم الجزائري، 2016، صفحة 178) ولا يجد ضررا في مشاركة الأمة الإسلامية للأمم الأخرى لخدمة الإنسانية ، يقول: " ...مشاركين لأمم الدنيا في خدمة الإنسانية وترقيه وتوسيع العمران..." (بن باديس، بعد عقد من السنين، 2016، صفحة 352) والاستفادة مما وصلت له الحضارة الغربية من العلوم والتقنيات؛ لأنّ جميع العلوم برأيه أثمرتها العقول لخدمة الإنسانية ودعا إليها القرآن بالآيات الصريحة، (بن باديس، أيها المسلم الجزائري، 2016، صفحة 177) وذلك لضرورتها في استيعاب مستجدات العصر وتحقيق النهضة.

لم تكن دعوته للانفتاح على الحضارة الغربية والاستفادة من علومها وتقنياتها دعوة إلى التبعية المطلقة، فهو يرى أنها حضارة غلبت عليها المادية والأنانية وتفشت فيها الأمراض (بن باديس، بعد عقد من السنين، 2016، صفحة 352) والقوة فيها تتفوق على الحق والعدل والرحمة، وهذا يتعارض مع مبادئ الإسلام. (بن باديس، مجالس التذكير، 2009، صفحة 399)

لذلك، دعا إلى ضرورة التمسك بالهوية الإسلامية وإصلاح الأمة وفقا لتعاليم القرآن، قبل الانفتاح على الآخر والاستفادة من منجزاته في مجال العلوم الحديثة، مع ضرورة تأصيل هذه المعارف في إطار الإسلام. يهدف هذا النهج إلى تحقيق نهضة الأمة، مع الحفاظ على قيم الدين، وبالتالي تحقيق الحكمة من الاستخلاف وعمارة الأرض.

لابد أن نفرق بين دعوة ابن باديس إلى التعايش والانفتاح على الآخر وموقفه من الاستعمار، ذلك أنّ الدعوة إلى التعايش بين الأفراد والجماعات المختلفة، ونبذ العنف والتعصب الديني واحترام عقيدة الآخر، لا يتعارض مع مقاومته للاستعمار. فقد كان يرفض الفكر الاستعماري الاستبدادي الذي يتعدى على الحقوق والحريات، لذلك فرق بين الروح الإنسانية والاستعمارية، يقول: " اننا نفرق جيدا بين الروح الانسانية والروح الاستعمارية في كل أمة، فنحن بقدر ما نكره هذه ونقاومها، نوالي تلك ونؤيدها.." (بن باديس، آثار ابن باديس، 2016، صفحة 406)

كما عرف بنضاله ضد المستعمر الذي حاول القضاء على مقومات الهوية الوطنية، فكان رافضا للاستعمار الفرنسي للجزائر في جميع مظاهره السياسية والعقدية والاجتماعية، ورافضا لفرنسا ومقوماتها كبديل للثقافة العربية الاسلامية. واعتبر الجزائر بمقوماتها أمة مستقلة عن فرنسا يقول: "ثمّ إنّ الأمة الجزائرية الاسلامية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت. بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وعناصرها، ودينها، لا تريد أن تندمج..." (بن باديس، في الشمال الإفريقي، 2016، صفحة 309)

وسعى من خلال مشروعه الإصلاحي إلى تثبيت المقومات الوطنية والحفاظ عليها، وذلك بإحياء اللغة العربية، ونشر الدين الإسلامي، وإيقاظ ضمير الشعب الجزائري من أجل استرجاع حقوقه وأرضه المسلوبة. وكان التعليم أول وسيلة اتبعها فتوسل جميع الطرق الموصلة إليه، وعمل على نشر العقيدة الصحيحة، وإرساء التعاليم الإسلامية من خلال مقالاته في الجرائد، ومجالس ودروس الوعظ، وخطب المنابر...وكذلك عمل على الحفاظ على تماسك المجتمع الجزائري المتنوع وتجنب الصراعات الداخلية التي تضعفه أمام المستعمر.

آليات تجاوز الخلاف مع الآخر والتأسيس للعيش المشترك في المجتمع

إن تنامي النزاعات الطائفية، وخطاب الكراهية في المجتمعات الإسلامية اليوم يتعارض مع المبادئ الإسلامية التي سادت في المجتمع الإسلامي الأول. وقد أشار ابن باديس في كتاباته إلى طرق تجاوز هذا الخلاف وتحقيق العيش المشترك:

4. 1 **إدراك الحكمة من الاختلاف:** لتحقيق الاستخلاف في الأرض وتجاوز الخلافات، يؤكد ابن باديس على ضرورة فهم الحكمة الإلهية من التنوع البشري والاعتراف بأن الاختلاف هو بمشيئة الله، وأنها تحمل حكمة وصوابًا تصب في مصلحة البشرية وتطورها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (المائدة، الآية48) . فلا يجب أن يكون سببا للصراع والتعصب على المخالف، بل هو ضروري لتكامل الحياة وتقدمها، فكل فرد أو أمة يمتلك قدرات ومشارب مختلفة، وهذا يساهم في إثراء الحياة وتنوعها وتحقيق الخير والرخاء للمجتمع. يقول:" وعرفهم . يقصد الإسلام . بوجه الحكمة من هذا الاختلاف وهي أن تباين أعمالهم بتباين مشاربهم ومداركهم مما هو ضروري لنمو العمران وتقدم الإنسان وظهور حقائق الأفراد والأمم بالابتلاء والاختبار فيما أوتيت من عقول وإرادات وقوى وأعمال" (بن باديس، نظر المسلمين إلى غير المسلمين، 2016، صفحة 488) فيجب أن يكون الاختلاف دافعا للتعاون والتكامل، ولكي يتحقق هذا يجب على البشر أن يتحلوا بالتسامح والاحترام المتبادل ويتقبلوا الاختلافات كواقع طبيعي. ويستفيدوا من تجارب الآخرين في تطوير أنفسهم ومجتمعاتهم وبهذا الفهم للحكمة الإلهية من الاختلاف، يمكن تجاوز الخلافات والصراعات، وتحقيق العيش المشترك في سلام، والمساهمة في بناء حضارة إنسانية مزدهرة ومتنوعة.

4. 2 **تهذيب النفس البشرية وتطهيرها:** غالبا ما تسيطر على الإنسان غرائزه وحب الذات، مما يدفعه للتملك والتعارض مع الآخرين، فيقرر بن باديس أن هذه الغرائز هي السبب الرئيسي للخلافات بين البشر، حيث يميل الإنسان إلى حب الذات والحفاظ على مصالحه الشخصية، وقد يصل به الأمر إلى الاعتداء على الآخرين لتحقيق مآربه. وقد استغل بعض القادة والزعماء هذه النزعة الأنانية في الإنسان لإثارة الصراعات بين الأفراد والجماعات، مما أدى إلى تفاقم الخلافات وتعميق الانقسامات (بن باديس، الفكرة الإسلامية، 1925، صفحة 16؛ بن باديس، نظر المسلمين إلى غير المسلمين، 2016، صفحة 488)، لكن الإسلام جاء ليرفض هذه السيطرة الغريزية، داعيا إلى التسامح ونبذ الحقد، يشدد على أهمية محبة الله ورسوله والمسلمين، وفي الوقت نفسه يحث على التعامل بالحسنى مع غير المسلمين وعدم الاعتداء عليهم، واستنكر على الإنسان أن تتملكه السجية الحيوانية وتطغى عليه

نفسه، بدلا من الفطرة السليمة في تعامل الإنسان مع أخيه، وهو ما ذكره ابن باديس يقول:" ...حتى جاء الإسلام ينشر راية التسامح العام ويقلع جذور الحقد الديني من قلوب متبعيه، ويكفهم عن التعصب على المخالف لهم في الدين...قرر لهم محبة الإسلام وكره ما سواه، لكنه بين لهم أنه كره يحملهم على مجانبه عقائد غير الإسلام...دون أن يحملوا حقدا على مخالفيهم أو يمسوهم بأذى من سب أو تحقير لهم أو لمعتقداتهم." (بن باديس، نظر المسلمين إلى غير المسلمين، 2016، صفحة 488)

لذلك، يجب على الإنسان أن يعمل على تطهير نفسه من الأنانية وتغليب مصلحة الجماعة على المصلحة الذاتية، ويرتقي بفكره وسلوكه إلى مستوى الفطرة السليمة، ويتحلى بالأخلاق الفاضلة، ويسعى إلى تحقيق العدل والمساواة والتعاون الإيجابي مع الآخرين، لبناء مجتمع متماسك. ولا يمكن تحقيق ذلك من خلال التربية الإسلامية الصحيحة، التي تعلمه كيف يتحكم في غرائزه ويوجهها نحو الخير، وكيف يتعامل مع الآخرين.

4. **3 معرفة الآخر ونسيان الماضي:** إنّ أول ضابط من ضوابط العيش المشترك هو التعرف على الآخر. لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ...﴿١٣﴾ ﴾ (الحجرات، الآية13) هذا التعرف لا يتجاوز مجرد جمع المعلومات السطحية، بل يتطلب فهما عميقا للآخر لهويته ومعتقداته وثقافته، ولا يمكن أن يتحقق إلا بالتخلي عن الأفكار المسبقة والصور النمطية عن الآخر، والانفتاح عليه وفهمه من خلال الحوار والتفاعل المباشر، وتجنب الإساءة إلى معتقداته. فالإسلام يحث على احترام جميع الأديان، ويحرم الإساءة إلى مقدساتها. كما يبرز ابن باديس أنَّ السبيل الموصل إلى هذه الغاية السامية هو نسيان الماضي بما فيه، يقول :" ولا شك أن الذي يوصل إلى هذه الغاية السامية الشريفة من التفاهم والتعاون هو نسيان الماضي بما فيه، واجتناب القدح في أصول كل ملة، والبعد عن الظهور بمظهر القوة والسلطان" (بن باديس، حول المؤتمر الافخاريستي هل كان مظاهرة دينية خالصة، 1939، صفحة 1). هذا التعارف المتبادل هو الأساس الذي يُبنى عليه التعاون المثمر بين أفراد المجتمع على اختلاف عقائدهم وثقافاتهم، ويمكن الناس من اكتشاف القيم والمبادئ المشتركة التي تجمعهم، تبادل الخبرات والمعارف، مما يسهم في بناء مجتمع متحضر.

ويجب أن ندرك أن الدعوة إلى التعايش المشترك لا تعني الحب والرضا بدين المخالف أو مشاركته فيه، ولا تعني قبول الظلم والاستعمار. بل تعني التعامل معه بالرحمة والإحسان، والتعاون على تحقيق المصالح المشتركة. وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على التعامل بالرحمة مع المسلمين و غيرهم. قال: (البخاري، 1422، صفحة 115، رقم الحديث 7376)" لا يرحم الله من لا يرحم الناس" وكلمة الناس جامعة للجميع دون اعتبار الجنس أو اللون أو الدين. (مكي، 2013، صفحة 47) وكان يتعامل مع المخالفين برفق ويتجاوز عن إساءتهم، حفاظا على أمن المجتمع. وقد دعاه يهودي إلى طعام فأجابه. (حنبل، 2001، صفحة 344). هذا الفعل دافع إلى التعايش السلمي ودعم نفسي لغير المسلمين ليشعروا بأنهم بلد واحد، ويعزز الانتماء إلى الوطن، وهو ما نحتاجه اليوم لأن توحيد أبناء البلد الواحد على اختلافهم، هو حصانة من كل معتد يريد تمزيقه وإثارة النزعات. (مكي، 2013، صفحة 55)

وبهذا المعنى، فإن دعوة ابن باديس للعيش المشترك وتقبل الآخر هي دعوة إسلامية أصيلة، نابعة من فهمه الصحيح للإسلام ونصوصه، ليست مرتبطة بتوحيد الأديان أو ضغوط الاستعمار الفرنسي، ولا تعني الخضوع له وتقبل الظلم والتعدي على الحريات.

يهدف من خلالها إلى بناء مجتمع متماسك قادر على مجابهة الاستعمار، يسوده العدل ويتساوى فيه الأفراد، والإعداد لمستقبل يجمع بين الأصالة والانفتاح في جزائر ما بعد الاستعمار.

لذا، يجب تفعيل هذه الدعوة سواء بين أبناء الشعب الواحد من أجل تجاوز أزمة الصراعات والانقسامات في المجتمعات المعاصرة. أو التعايش بين شعبين مستقلين مختلفين، من أجل الاستفادة من تجارب الشعوب المختلفة، لتحقيق نهضة حضارية تجمع بين الأصالة الإسلامية والمعاصرة، من خلال التمسك بالهوية الإسلامية وتفعيل قيمها في السلوك، ومواكبة العصر.

تقييم تجربة ابن باديس في العيش المشترك وتقبل الآخر

يمكن تقييم تجربة ابن باديس من خلال عدة جوانب، الإيجابيات والسلبيات والدروس المستفادة منها.

1.5 الإيجابيات :

إنّ تجربة ابن باديس في الدعوة إلى العيش المشترك تميزت بالعديد من الإيجابيات، حيث قدم رؤية متوازنة تجمع بين الالتزام الديني والانفتاح على الآخر، مؤكدا على أهمية الحوار ونبذ العنف في التعامل مع المخالفين، والاحترام المتبادل. ولم يقتصر مفهوم العيش المشترك عنده على المسلمين فقط، بل دعا إلى التعايش السلمي مع غير المسلمين داخل المجتمع الجزائري.

كما رفض التعصب بكل أشكاله، ودعا إلى نشر قيم التسامح والاعتدال والوسطية. وميز بوضوح بين عقيدة الإنسان وسلوكه، مصرا على إمكانية قبول الآخر المختلف سلوكيا، والتعاون معه على تحقيق المصالح المشتركة، حتى لو اختلف معه في العقيدة. (الصلابي، 2016، صفحة 262، 263)

هذه الرؤية الإيجابية للعيش المشترك جعلت من ابن باديس رمزا للتسامح والتعايش السلمي، ومصدر إلهام للعديد من الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي.

2 .5 السلبيات:

يرى البعض أنه رغم الإيجابيات الكثيرة لرؤية ابن باديس في الدعوة إلى العيش المشترك وتقبل الآخر، إلا أن تجربته لم تكن خالية من السلبيات والانتقادات، فمن ناحية ظلت بعض آرائه نظرية ولم تجد طريقها للتطبيق العملي بالشكل المطلوب، بسبب الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الجزائر في تلك الفترة، ومن ناحية أخرى، لم يتمكن ابن باديس من إقناع جميع التيارات الفكرية والسياسية في المجتمع الجزائري برؤيته الإصلاحية، حيث واجه معارضة من بعض الجماعات المتشددة التي رفضت أي انفتاح على الآخر المختلف. (الدراجي، 2007، صفحة 49، 50)

بالإضافة إلى ذلك، واجه ابن باديس اتهامات بمحاولة خلط الأديان من بعض المتشددين، الذين رأوا في دعوته إلى التسامح والتعايش مع غير المسلمين خروجا عن صحيح الدين. وقد رد على هذه الاتهامات بالتأكيد على تمسكه التام بعقيدة أهل السنة والجماعة، ورفضه القاطع لأي مساس بثوابت الدين الإسلامي أو الخلط بينه وبين الأديان الأخرى.

وأوضح أن دعوته للتعايش مع غير المسلمين لا تعني المساواة المطلقة بين الأديان، بل تعني قبول الاختلاف في إطار الحفاظ على الهوية الإسلامية والتمسك بمبادئها، وأكد أن الإسلام في أصوله يدعو إلى التعايش السلمي بين أتباع الديانات المختلفة، وأن هذا التعايش لا يتعارض مع العقيدة الإسلامية الصحيحة. (بن باديس، لمن أعيش؟ أعيش للإسلام والجزائر، 1937)

وبهذا الرد الواضح والحاسم، استطاع أن يوضح منهجه في التعايش مع الآخر، وأن يبرهن على عدم مطابقته لما اتُّهم به من محاولة لخلط الأديان والتقريب بينها.

وفي اعتقادي لم تكن دعوة ابن باديس إلى العيش المشترك مجرد دعوة نظرية، بل كانت دعوة عملية، سعى إلى تطبيقها في الواقع الجزائري من خلال مشروعه الذي شمل مختلف جوانب الحياة. وقد واجه في سبيل ذلك العديد من التحديات والصعوبات، إلا أنه لم يتراجع عن دعوته.

3.5 الدروس المستفادة:

في رأيي تقدم تجربة ابن باديس في الدعوة إلى العيش المشترك دروسا قيمة يمكن استخلاصها وتطبيقها في سياقات مختلفة.

أولا: تؤكد على أهمية التجديد الفكري في مجال العلاقات بين الحضارات، حيث يجب أن يكون هناك توازن بين التمسك بالهوية الثقافية والانفتاح على الآخر، مع مراعاة خصوصية كل مجتمع وظروفه.

ثانيا: تبرز تجربته أهمية نشر قيم التسامح والحوار بين أفراد المجتمع، وتعزيز التفاهم والتعاون بين مختلف الأطراف، كما تؤكد على ضرورة التمييز بين الهوية الحضارية وسمات السلوك الإنساني، حيث يمكن قبول الآخر والتعايش معه سلميا، حتى مع وجود الاختلافات.

ثالثا: تثبت أن تقبل الآخر لا يتعارض مع التمسك بالهوية والخصوصية، ويمكن أن يكون عاملا في تعزيزها وإثرائها. فالتفاعل مع الآخر يمكن أن يسهم في تطوير الذات واكتشاف جوانب جديدة من الهوية.

وعلى الرغم من بعض الانتقادات التي وجهت إلى تجربة ابن باديس، إلا أنها تعتبر ناجحة في محاولة التوفيق بين ثوابت الهوية ومتطلبات الانفتاح على الآخر. فقد استطاع أن يقدم نموذجا يحتذى به في التعايش السلمي والتعاون بين مختلف مكونات المجتمع، وهو نموذج يمكن أن تستفيد منه المجتمعات المعاصرة التي تعاني من الصراعات والانقسامات.

خاتمة:

في ختام البحث، يتبين أن عبد الحميد ابن باديس كان متشبعا بالثقافة الإسلامية، مؤمنا بإمكانية العيش المشترك بين مختلف الشعوب والأديان، داعيا إلى الإخاء والتحلي بالقيم الإنسانية التي حث عليها الإسلام. وقد استنكر سيطرة الأنانية والكراهية على الإنسان، مؤكدا على ضرورة فهم حكمة الاختلاف والتعاون لتحقيق المصالح الإنسانية والنهضة الحضارية. كما أقر بإمكانية العيش المشترك مع الآخر وتقبل الاختلافات، مع التأكيد على أهمية الحفاظ على الهوية الإسلامية وعدم الذوبان في ثقافة الآخر أو تبني فكرة وحدة الأديان. وأخيرا، يمكن الاستفادة من تجربة ابن باديس في بناء مجتمعات أكثر تسامحا وانسجاما، حيث يتعايش الجميع بسلام وأمان.

المصادر والمراجع:

ابن منظور. (1414). *لسان العرب* (الإصدار 3، المجلد ج6). بيروت: دار صادر.

أبو الفيض الزبيدي. (د ت). *تاج العروس من جواز القاموس* (الإصدار 2). د ب: دار الهداية.

أبو عيسى الترميذي. (1996). *الجامع الكبير. تحقيق: بشار عواد معروف* (الإصدار 1، المجلد 4). بيروت: دار الغرب الإسلامي

أحمد بن حنبل. (2001). *مسند الإمام أحمد*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. (الإصدار 1، المجلد 21). د ب: مؤسسة الرسالة.

أحمد زكي بدوي. (1993). *معجم مصطلحات اللعلوم الاجتماعية* (الإصدار 1). بيروت: مكتبة لبنان.

أحمد مختار عمر. (2008). *معجم اللغة العربية لمعاصرة* (الإصدار 1، المجلد 2). داتر الكتب.

جمال مجدي حسنين. (2005). *سوسيولوجيا المجتمع* (الإصدار 1). القاهرة: دار المعرفة الجامعية.

جميل صليبا. (1982). *المعجم الفلسفي* (الإصدار د ط، المجلد 2). بيروت: دار الكتاب اللبناني.

سعدي ابو جيب. (1988). *كتاب القاموس الفقهي* (الإصدار 2). سوريا: دار الفكر.

سلمة بن مسلم الصحاري. (1999). *الابانة في اللغة العربية* (الإصدار 1، المجلد 3). عمان: وزارة التراث القومي.

عبد الحميد بن بن باديس. (17 ديسمبر, 1925). الفكرة الإسلامية. *الشهاب*(6).

عبد الحميد بن بن باديس. (1925). الفكرة الإسلامية. *الشهاب*(7).

عبد الحميد بن بن باديس. (13 جانفي, 1937). لمن أعيش؟ أعيش للإسلام والجزائر. *الشهاب*(79).

عبد الحميد بن بن باديس. (12 مارس, 1937). الجنسية القومية والجنسية السياسية. *البصائر*(58)، 1.

عبد الحميد بن بن باديس. (18 جوان, 1937). دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصولها. *البصائر*(71).

عبد الحميد بن بن باديس. (27 ماي, 1938). نريد المعاونة لا نريد المعارضة. *البصائر*(115).

عبد الحميد بن بن باديس. (19 ماي, 1939). حول المؤتمر الافخاريستي هل كان مظاهرة دينية خالصة. *البصائر*(166).

عبد الحميد بن بن باديس. (2009). *مجالس التذكير* (الإصدار 1، المجلد 1). الجزائر: دار الرشيد.

عبد الحميد بن بن باديس. (2016). *آثار ابن باديس*. تحقيق: عمار طالبي. (الإصدار 6، المجلد 1، 2، 3، 4). الجزائر: دار الوعي.

عبد العزيز التويجري. (2010). *التواصل الحضاري والتفاهم بين الشعوب* (الإصدار 1). الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

عبد العزيز فيلالي. (د ت). *الشيخ عبد الحميد بن باديس وعيه بالاستعمار وبالثقافة الغربية من خلال أرشيف الاستخبارات الفرنسي* (الإصدار د ط). الجزائر: دار الهدى.

علي الصلابي. (2016). *كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس* (الإصدار 1، المجلد 2). دمشق . بيروت: دار ابن كثير.

محمد الدراجي. (2007). *الشيخ عبد الحميد بن باديس السلفية والتجديد* (الإصدار 1). الجزائر: دار قرطبة.

محمد بن إسماعيل البخاري. (1422). *صحيح البخاري*. (الإصدار 1، المجلد 9). بيروت: دار طوق النجاة.

مصطفى مكي. (2013). *أحكام التعايش مع غير المسلمين في المعاملات والأحوال الشخصية* (الإصدار 1). الأردن: دار النفائس.

وهبة الزحيلي. (د ت). *الفقه الإسلامي وأدلته* (الإصدار 4، المجلد 4). سوريا: دار الفكر.

- Ibn manẓūr. (1414). Lisān al-‘Arab (al-iṣdār 3, j6). Bayrūt : Dār Ṣādir.
- Abū al-Fayḍ al-Zubaydī. (D t). Tāj al-‘arūs min jawāz al-Qāmūs (al-iṣdār 2). D b : Dār al-Hidāyah.
- Abū ‘Īsá altrmydhy. (1996). al-Jāmi‘ al-kabīr. taḥqīq : Bashshār ‘Awwād Ma‘rūf (al-iṣdār 1, al-mujallad 4). Bayrūt : Dār al-Gharb al-Islāmī.
- Aḥmad ibn Ḥanbal. (2001). Musnad al-Imām Aḥmad. taḥqīq : Shu‘ayb al’rn’wṭ. (al-iṣdār 1, al-mujallad 21). D b : Mu’assasat al-Risālah.
- Aḥmad Zakī Badawī. (1993). Mu‘jam muṣṭalaḥāt al-‘Ulūm al-ijtimā‘īyah (al-iṣdār 1). Bayrūt : Maktabat Lubnān.
- A’ḥmd Mukhtār ‘Umar. (2008). Mu‘jam al-lughah al-‘Arabīyah lm‘āṣrh (al-iṣdār 1, al-mujallad 2). D b : Dār al-Kutub.
- Jamāl Majdī Ḥasanayn. (2005). Sūsiyūlūjiyā al-mujtama‘ (al-iṣdār 1). al-Qāhirah : Dār al-Ma‘rifah al-Jāmi‘īyah.
- Jamīl Ṣalībā. (1982). al-Mu‘jam al-falsafī (D Ṭ, al-mujallad 2). Bayrūt : Dār al-Kitāb al-Lubnānī.
- Sa‘dī Abū jybb. (1988). Kitāb al-Qāmūs al-fiqhī (al-iṣdār 2). Sūriyā : Dār al-Fikr.
- Salamah ibn Muslim al-Ṣuḥārī. (1999). al-Ibānah fī al-lughah al-‘Arabīyah (al-iṣdār 1, al-mujallad 3). ‘Ammān : Wizārat al-Turāth al-Qawmī
- ‘Abd al-Ḥamīd ibn Bādīs. (1925). al-fikrah al-Islāmīyah. al-Shihāb (7).
- ‘Abd al-Ḥamīd ibn Bādīs. (17 Dīsimbir, 1925). al-fikrah al-Islāmīyah. al-Shihāb (6).
- ‘Abd al-Ḥamīd ibn Bādīs. (13 Jānfī, 1937). li-man a‘ysh? a‘ysh lil-Islām wa-al-Jazā’ir. al-Shihāb (79).
- ‘Abd al-Ḥamīd ibn Bādīs. (12 Mārs, 1937). al-jinsīyah al-Qawmīyah wa-al-jinsīyah al-siyāsīyah. al-Baṣā’ir (58).
- ‘Abd al-Ḥamīd ibn Bādīs. (18 Juwān, 1937). Da‘wat Jam‘īyat al-‘ulamā’ al-Muslimīn al-Jazā’irīyīn wa-uṣūluhā. al-Baṣā’ir (71).
- ‘Abd al-Ḥamīd ibn Bādīs. (27 Māy, 1938). nurīd al-mu‘āwinah lā nurīd al-mu‘āraḍah. al-Baṣā’ir (115).
- ‘Abd al-Ḥamīd ibn Bādīs. (19 Māy, 1939). ḥawla al-Mu’tamar alāfkhārysty Hal kāna Muẓāharah dīnīyah Khāliṣat. al-Baṣā’ir (166).
- ‘Abd al-Ḥamīd ibn Bādīs. (2009). Majālis al-tadhkīr (al-iṣdār 1, al-mujallad 1). al-Jazā’ir : Dār al-Rashīd.
- ‘Abd al-Ḥamīd ibn ibn Bādīs. (2016). Āthār Ibn Bādīs. taḥqīq : ‘Ammār Ṭālibī (al-iṣdār 6, al-mujallad 1, 2, 3, 4). al-Jazā’ir : Dār al-Wa‘y.
- ‘Abd al-‘Azīz al-Tuwayjirī. (2010). al-tawāṣul al-ḥaḍārī wa-al-tafāhum bayna al-shu‘ūb (al-iṣdār 1). al-Rabāṭ : al-Munaẓẓamah al-Islāmīyah lil-Tarbiyah wa-al-‘Ulūm wa-al-Thaqāfah.

- ‘Abd al-‘Azīz Fīlālī. (D t). al-Shaykh ‘Abd al-Ḥamīd ibn Bādīs wa‘yihi bālāst‘mār wbālthqāfh al-Gharbīyah min khilāl U rshyf al-istikhbārāt al-Faransī (D Ṭ). al-Jazā’ir : Dār al-Hudá.
- ‘Alī al-Ṣallābī. (2016). Kifāḥ al-Sha‘b al-Jazā’irī ḍidda al-iḥtilāl al-Faransī wa-sīrat al-Za‘īm ‘Abd al-Ḥamīd ibn Bādīs (al-iṣdār 1, al-mujallad 2). Dimashq Bayrūt : Dār Ibn Kathīr.
- Muḥammad al-Darrājī. (2007). al-Shaykh ‘Abd al-Ḥamīd ibn Bādīs al-Salafīyah wa-al-tajdīd (al-iṣdār 1). al-Jazā’ir : Dār Qurṭubah.
- Muḥammad ibn Ismā‘īl al-Bukhārī. (1422). Ṣaḥīḥ al-Bukhārī. (al-iṣdār 1, al-mujallad 9). Bayrūt : Dār Ṭawq al-najāh.
- Muṣṭafá Makkī. (2013). Aḥkām al-ta‘āyush ma‘a ghayr al-Muslimīn fī al-mu‘āmalāt wa-al-aḥwāl al-shakhṣīyah (al-iṣdār 1). al-Urdun : Dār al-Nafā’is.
- Wahbah al-Zuḥaylī. (D t). al-fiqh al-Islāmī wa-adillatuh (al-iṣdār 4, al-mujallad 4). Sūriyā : Dār al-Fikr.